بين طموح الأحزاب اليسارية وممكن الواقع الذاتي

"التيار الثالث".. متى ينتهي عصر الكلام الجميل؟!

أي دور يلعبه "التيار الثالث" في الحوار الوطني؟ (عدسة: فادي العاروري)

• كتب حسن جبر

هل هناك ضرورة ملحة لوجود تيار ثالث يجمع الأحزاب والقوى الديمقراطية ذات التوجه اليساري لمواجهة حالة الاستقطاب الثنائي التي أفرزتها الانتخابات التشريعية الأخيرة؟ ولماذا لم يتبلور هذا التيار حتى الآن، على الرغم من وجود منطلقات وأفكار مشتركة بين هذه الفصائل التي تنادي ليل نهار ببناء هذا التيار ليعكس مصالح المواطنين الذين لا يجدون أنفسهم في التيارين الرئيسيين على الساحة: "فتح" و"حماس"؟!

وهل هناك إمكانية حقيقية لإقامة هذا التيار الذي يسمونه في الغالب التيار الثالث، وأحياناً التيار الوطني الديمقراطي؟ وقبل هذا وذاك، لماذا لم يتم بناء مثل هذا التيار حتى الآن، على الرغم من اللقاءات والاجتماعات التي سبقت الانتخابات الأخيرة؟ هل هي المصالح الذاتية للقادة والمسؤولين الذين يتربعون على عرش هذه القوى منذ سنوات طويلة، فقدوا خلالها كل شيء، حتى الجماهير الذين يتغنون بتمثيلها؟!

لماذا يتراشق مسؤولو الأحزاب اليسارية الاتهامات في السر، ويتبادلون العناق في العلن .. ويعودون إلى مكاتبهم ومجالسهم الخاصة وكأن شيئاً لم يحدث، في حين أن أحزابهم تكاد تنقرض أمام الاستقطاب الحاد الذي بات يهيمن على كل شيء؟!

وكيف يشكلون هذا التيار إن خلصت النوايا والتوجهات؟ هل يبدأون بالكتل والشخصيات القريبة منهم في البركان الجديد ليطوروا الفكرة رويداً رويداً حتى الوصول إلى التيار الثالث، الذي يشكل بيضة القبان في الحياة السياسية الفلسطينية؟ أم يعلنون عن ولادة التيار بعد اجتماعات موسعة، وليلتحق به من يلتحق؟

كل هذه الأسئلة وغيرها العشرات طرحتها "آفاق برلمانية" على عدد من صناع القرار والمفكرين من أصحاب هذا التوجه والمطلعين على مجريات الأمور للوقوف أمام ما يجري، على الرغم من الاعتداءات الإسرائيلية المتعاقبة على الأراضي الفلسطينية.

يقول جميل مجدلاوي، النائب في المجلس التشريعي عن الجبهة الشعبية: يجب أن نعرف في البداية ما هو المقصود بالتيار الثالث. ويتابع: أنا مع إقامة تيار وطني ديمقراطي تقدمي، لأن الشعب الفلسطيني بحاجة إلى وجود قوة ذات وزن تعكس شيئاً موضوعياً في المجتمع الفلسطيني.

ويضيف مجدلاوي: إن التيار التقدمي الديمقراطي بمرجعياته قادر على أن يعبر بوضوح واستقامة عن مصالح الشعب، وهو القادر على أن يشكل رافعة وحالة استنهاض حقيقية.

ويشاطره الرأي معظم القوى والشخصيات الديمقراطية وذات التوجه اليساري. ويقول وليد العوض، عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب: نعم، وبغض النظر عن التسمية، هناك حاجة موضوعية وذاتية لعرض مثل هذا التيار نظراً لحالة الاستقطاب الحاد بين "فتح" و"حماس".

ويتابع: الانتخابات أشارت إلى أن هناك عدداً كبيراً من الجمهور الفلسطيني لم يتوجه إلى صناديق الاقتراع، لأنهم لم يجدوا تياراً ديمقراطياً ثالثاً يحمل برنامجاً يجيب عن تساؤلات قطاعات واسعة من الشعب، التي إن وجدت افتقدت إلى الأداة، وهي وحدة القوى الديمقراطية.

ويحذر صالح زيدان، عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية، من عدم وجود هذا التيار الوطني الديمقراطي (التيار الثالث) لمواجهة الاستقطاب الثنائي الحاد بين "فتح" و"حماس". ويقول: استمرار حالة الاستقطاب يهدد بفشل النظام السياسي الفلسطيني، مؤكداً أن إبقاء حالة التوتر "يهدد بالانجرار إلى فتنة داخلية".

ويذهب محمود الزق، سكرتير جبهة النضال الشعبي في قطاع غزة، إلى حد القول "إن الواقع الفلسطيني لا يستدعي فقط وجود تيار ثالث، بل يصرخ من أجل ذلك".

ويستطرد: التجربة أثبتت عدم قدرة أي طرف على التصدي منفرداً لأعباء النضال والقضية الوطنية.

ويقول العوض: بعد الانتخابات الأخيرة، ازدادت الحاجة إلى التيار الثالث، وبخاصة أن حركة "حماس" التي فازت بعدد كبير من المقاعد في المجلس التشريعي تمارس الطريقة نفسها في الاستئثار بالسلطة، كما تمارس هذه السلطة وكأنها في مقاعد المعارضة.

ويضيف: كذلك، "فتح" تمارس السلطة من على مقاعد المعارضة، الأمر الذي أدى إلى تعارضات، وأحياناً اشتباكات.

ويؤكد زيدان أن احتمالات إقامة مثل هذا التيار يمكن أن تنجح؛ لأن جذور التيار الثالث موجودة، ويقول: هذا التيار قائم وموجود، وهناك مساحة واسعة له، الأمر الذي يدعونا إلى العمل على توحيده كي يقدم بديلاً مقنعاً من أجل أن يؤدي إلى زيادة نسبة هذا التيار بين الجماهير، باعتباره قادراً على إخراج الشعب الفلسطيني من حالة الاستقطاب.

يشار إلى أن اجتماعات ولقاءات مكثفة عقدت بين أطراف مختلفة في الساحة الفلسطينية من أجل إخراج فكرة التيار الثالث إلى حيز الوجود، إلا أنها جميعاً باءت بالفشل، ولم تتمكن قوى التيار الديمقراطي في الساحة الفلسطينية حتى من التوافق على قائمة انتخابية واحدة عشية إجراء الانتخابات التشريعية الثانية.

وأظهرت هذه الانتخابات ضعف قوى هذا التيار وهشاشتها، التي فشل بعضها في الوصول إلى مقاعد البرلمان بعد الإخفاق في تجاوز نسبة الحسم المطلوبة لدخول البرلمان. ووفقاً لنتائج الانتخابات التشريعية، فقد فازت الجبهة الشعبية بثلاثة مقاعد في البرلمان، في حين تمكن تحالف "البديل" المكون من الجبهة الديمقراطية وحزب الشعب والاتحاد الديمقراطي "فدا" من الحصول على مقعدين، وحصلت كتلة "فلسطين المستقلة"، التي يترأسها مصطفى البرغوثي، على مقعدين، وسرعان ما أعلنت النائب راوية الشوّا عن انسحابها من هذه الكتلة، ليبقى البرغوثي وحيداً في تمثيل الكتلة.

ولم تنجح فصائل صغيرة، مثل جبهة النضال الشعبي، والجبهة العربية الفلسطينية، وجبهة التحرير الفلسطينية، في تجاوز نسبة الحسم.

ويختلف بعض المفكرين والمحللين السياسيين حول "احتساب" قائمة "الطريق الثالث" المكونة من سلام فياض وحنان عشراوي ضمن هذا التيار الوطني الديمقراطي، بسبب اختلاف المنطلقات والأفكار التي يحملها مؤيدو "الطريق الثالث" عن بقية الأحزاب التي تصنف نفسها كأحزاب ذات توجه يساري.

وفازت "الطريق الثالث" بمقعدين، على الرغم من أن البعض توقع أن تحصد عدداً أكبر من المقاعد قياساً بحجم دعايتها الانتخابية وضخامة الأموال التي أنفقت عليها.

ويقول زيدان: قبل الانتخابات، كانت هناك نظرة ذاتية وفئوية وحساسيات وضعت عقبات أمام بناء تيار ثالث، إلا أنه في ضوء الانتخابات الأخيرة يفترض أن تتلاشى عمليات المبالغة في تقدير أحجام القوى.

ويضيف: لا أنكر أن هناك خلافات سياسية لعبت دوراً في عدم التوصل إلى تشكيل هذا التيار، إلا أن ما يجمع هذه القوى أكبر مما يفرقها ... وعندما يوحد هذا التيار نفسه يكتسب مصداقية أكبر.

صالح زيدان

جميل مجدلاوي

ويقول مجدلاوي إن العقبات التي حالت دون بناء التيار لها بُعد سياسي ناتج عما راكمته التجربة الطويلة من سلبيات وحساسيات، "فيها ما هو شخصي وتنظيمي".

ويذهب بعيداً إلى الحد الذي يقول فيه إن الأطراف التي ينبغي أن تكون ضمن هذا التيار، "كان بعضها، ولا يزال، أقرب إلى التكيف مع سياسات "فتح" تحت ذرائع عديدة، بما فيها خلال السنوات الأخيرة الخشية من أن تزداد أكثر شعبية حماس".

ويردف: هناك بعض المصالح التي تشكلت، وهي ذات بعد معنوي، وأحياناً مادي، للقيادات الفلسطينية عموماً، ومن ضمنها قيادات القوى التي يفترض أن تكون جزءاً من التيار.

ويضيف مجدلاوي: بعض القيادات وفر حضوراً معنوياً ومصالح مادية أكبر مما تمثله هذه القوى كوزن حقيقي في المجتمع، لذلك يصعب على مثل هذه القيادات أن تقبل بتنظيم الوضع من جديد.

ويشير إلى أن هناك بعض التعارضات ذات الطابع الذاتي بين قيادات هذه القوى، التي يمكن أن تشكل هذا التيار، "والتي توزعت خلال السنوات الأخيرة على بعض مؤسسات السلطة، وأخذت مواقع متقدمة، فيما البعض الآخر توزع على المؤسسات الأهلية".

ويوافق العوض على أن لا خلافات "برنامجية" بين قوى التيار الثالث، مؤكداً أن "هناك عوامل ذاتية خاصة لمن يحتلون مراكز قيادية ومؤثرة".

ويقول: يجب على الشخصيات والفصائل أن تتجاوز الروح الذاتية في التعاطي مع هذه الأمور، والبدء بحوارات جدية لكي يرى التيار الثالث النور.

ويؤكد الزق أن الأسباب الذاتية هي التي منعت، حتى الآن، بناء التيار الثالث، مشيراً إلى عدم وجود أي خلاف جوهري حول البرنامج السياسي بين "قوى اليسار"، وبخاصة بعد التوقيع على "وثيقة الأسرى".

من جانبه، يقترح العوض أن يتم البدء الفوري في تنظيم ورش عمل ولقاءات بين القوى والشخصيات ذات التوجه الديمقراطي من أجل بحث سبل الخروج من المأزق، وتشكيل لجان تحضيرية للبدء في تشكيل التجمع الديمقراطي الذي يلتفت إلى قضايا الناس وهمومهم، مؤكداً أن "قطاعات واسعة يمكن أن تنضم إلى هذا التيار".

وهو يدعو إلى الإقلاع عن فكرة "المحاصصة" والتمثيل، مشيراً إلى أهمية "عدم اختزال اليسار في مجموعة أشخاص من هذا الفصيل أو ذاك".

وكانت محاولات جرت بعد الانتخابات التشريعية من أجل تشكيل كتلة برلمانية واحدة تمثل هذا التيار، غير أنها لم تنجح.

ويقول مجدلاوي: للأسف، منذ انتهاء الانتخابات طُرح أكثر من مرة تشكيل تيار ديمقراطي، وجرت محاولات من طرفنا لاعتبار نتائج الانتخابات أساساً للتحرك وتشكيل نواة لجمع هذا التيار في إطار فضفاض، إلا أننا لم نخطُ خطوات جديدة ... وعلى الرغم من الخشية التي يبديها مجدلاوي حيال عدم تمكن البنى القيادية الحالية من "تجاوز ذروتها" وتشكيل التيار الثالث، فإنه يأمل في أن يساهم الحراك الاجتماعي القادم في المدى القريب في تذليل العقبات.

ويقول: أخشى أن تكون البنى القيادية الحالية غير قادرة على تجاوز ذروتها وتشكيل تيار ديمقراطي ... ولكن، ربما الحراك الاجتماعي القادم في المدى القريب في إطار إعادة بناء مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة يمكن أن يساعد في تذليل بعض العقبات.

بدوره، يكشف زيدان عن خطة أو مبادرة قدمتها الجبهة الديمقراطية لثمانية فصائل سياسية من أجل تشكيل "صيغة تنسيقية" للانطلاق منها نحو تطوير العلاقة بين أطراف هذا التيار وصولاً إلى توحيد الجهود.

ويقول: الآن، يمكن أن يتم البدء من خلال كتلة برلمانية تضم الكتل الديمقراطية كافة، والانطلاق بعدها نحو توحيد وإنشاء هذا التيار.

ويؤكد زيدان أن مشروع المبادرة يمكن أن يكون نقطة الانطلاق في بناء التيار الثالث وتطويره، الذي يجمع ثماني قوى إلى جانب شخصيات وطنية وديمقراطية.

وفي معرض تحليله لإمكانية قيام مثل هذا التيار، يقول د. ناجي شراب، أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر: إن إقامة مثل هذا التيار تحتاج لمعطيات وشروط، مضيفاً: هناك مشاكل تتعلق في النخبة السياسية وقدرتها على التوحد.

ويستطرد قائلاً: يفترض أن تدفع الانتخابات الأخيرة قوى هذا التيار وشخصياته إلى إعادة نشاطها، إلا أن ما جرى هو أن نوعاً من التقوقع والانطواء اعترى هذه القوى.

وعن المعطيات والشروط المطلوبة لتوحد قوى هذا التيار، يشير شراب إلى "ضرورة التوافق على برنامج سياسي، وإفساح المجال أمام الأجيال الشابة للمشاركة في اتخاذ القرار".

ويؤكد أن "الأحزاب السياسية اليسارية لا تعرف أنها تمثل إلا نسبة صغيرة من المواطنين، وأن تواجدها السياسي ضعيف".

ويحذر الزق من عدم بناء التيار الثالث، بالقول: إن أطراف التيار الثالث ستفقد تأثيرها في الواقع وتصبح أرقاماً دون معنى، وبالتالي ستفقد التأثير في مجريات الواقع.